الفكرية اليهودية التي عارضت الصهيونية وفكرة القومية اليهودية منذ اواخر القرن التاسع عشر. ثانيا ، الرد على الزعم الصهيوني الشائع الذي يوحد بين الصهيونية واليهودية وايضاح واقع معين هو أن دين اليهود وتراثهم الاجتماعي والفكري والروحي أوسع واغنى من أن يتم اختزالهما الى مجرد حركة سياسية معينة ومرتبطة بظروف تاريخية وزمنية معروفة . اي يعتبر الكتاب انه كواقع تاريخي ، انتج استمرار الوجود اليهودي الحركة الصهيونية كجزء منه ولكن لا يجوز لهذا الجزء ان يدعي استيعابه للكل الذي انبثق عنه ومساواته به . كما يعتقد معظم اصحاب المقالات ان الجزء لم ينبثق عن افضل واسمى ما في التراث اليهودي من عناصر وقيم بل انبثق نتيجة لتفككها وانحدارها وكانوا يفضلون لو لم ينتج اليهود الظاهرة الصهيونية اصلا ، علما بأن هذا التفضيل لا يتعدى مستوى الرغبات الشخصية والفردية المعزولة فحسب . ثالثا ، الرد على الزعم الشائع بأن الحركة الصهيونية ليست الا تحقيقا للحلم اليهودي القديم في الخلاص ، ويشدد الكتاب في اكثر من موقع على ان استخدام الصهيونية لميثولوجيا الخلاص كانت أداة سياسية موجهة في كثير من الاحيان نحو كسب العطف المسيحي في الاوساط السلفية البروتستانتية بسبب اعتقادها ان عودة بني اسرائيل الى فلسطين هي علامة من علامات مجيء المسيح مجددا الى العالم . وفي مقابل هذا الزعم يؤكد الكتاب ، في أكثر من موضع ، ان الدافع الاساسي وراء الحركة الصهيونية لا علاقة له بالحلم اليهودي في الخلاص ، (باعتبار ان الخلاص مسألة روحية محض لا تتحقق الا عن طريق معجزة سماوية) بل هو الرغبة الواضحة في جعل اليهود أمة كبقية الامم (لها ارضها ودولتها ومجتمعها الطبقي الخ ...) بحيث يصبح وضعها وضعا « سويا » بعد أن كان شاذا لفترة طويلة من الزمن . هنا نضع اصبعنا على جوهر المعارضة التي تظهر في مقالات الكتاب ، ضد الصهيونية ، اي ان المعارضة موجهة الى رغبة الصهيونية بجعل الوضع اليهودي « سويا وعاديا » في حين ان اصحاب المقالات يعتقدون بأن رسالة « الشعب اليهودي » الاساسية هي في ان يبقى متمايزا ومختلفا في وضعه الاجتماعي والثقافي الخ... عن بقية الامم والشعوب . بعبارة اخرى انهم يدافعون عن الثبات اليهودي ، في وجه الصهيونية التي تدينه وترفضه ، لانهم يعزون ما قدمه كبار المفكرين اليهود الى الثقافة والعلم والحضارة الى وضعهم الشاذ وغير السوي بين بقية الشعوب والامم . ووفقا لهذا الرأي يشمل هذا الوضع اليهودي الخاص التشديد على كونهم « أهل الكتاب » ، بمعنى ان تماسك حياتهم واستمرار تاريخهم في الشتات ، مع ما رافق ذلك من ظواهر، لا يمكن تفسيرها الا على اساس ارتباطهم العضوي بقيم روحية وفكرية والالتفاف حول تراث معنوي باعتبارها البديل عن الاساس المادي والانتاجي والسياسي الذي تتماسك بواسطته بقية الشعوب وتستمر في حياتها عبر المراحل التاريخية . لذلك يرى اصحاب هذه المدرسة ان الصهيونية تريد التصدي لجوهر الوجود اليهودي ومصدر رسالته عن طريق تحويلهم الى قوة سياسية دنيوية ، واقحامهم في عالم الصراعات الدولية واقتسام النفوذ ، ولذلك ينظرون اليها على انها نوع من « الثورة المضادة » (ليس بالمعنى اليساري المتداول) لانها تريد العودة باليهود الى الستاتيكو السابق ، اي الدولة اليهودية . ربما كان افضل مثال على هذا النمط من التفكير الطريقة التي يدافع بها المؤرخ دابناو عن فكرة « الامة » اليهودية ولكن بصورة تتعارض ــ مباشرة على أقل تعديل ــ مع طرح الحركة الصهيونية للفكرة ذاتها . يرى دابناو ان اليهود يشكلون امة بالمعنى التاريخي الثقافي والروحي فقط للعبارة وليس بالمعنى السياسي والاقليمي الذي ينطبق على بقية الامم والدول الحديثة . لذلك يقول بأن اليهود كأمة لا يمكن ان يكون لهم مطامع اقليمية او مطامح سياسية توسعية كبيرة او مصلحة في اخضاع شعوب اخرى لان اهتمامهم القومي منصب ، في الدرجة الاولى ، باتجاه المحافظة على شخصيتهم القومية وتمايزها الفردي والدفاع عن استقلالها الذاتي في كافة البلدان التي يوجد فيها يهود (ص ١٥٣) . بطبيعة الحال برهنت الصهيونية ، عن طريق نجاح مشاريعها الاستعمارية ، مدى الخطأ الذي يقع فيه مثل هذا التفكير المثالي ومدى عجز هذا الاسلوب الطوباوي في نقد الصهيونية او حتى رفضها .

مع ان هذه المدرسة في رفض الصهيونية لا تهتم بالجوهر الاستعماري والاستيطاني للحركة كأساس لمعارضتها الا انه من المفيد الاطلاع على مجرى تفكيرها العام كتيار داخل صفوف اليهود في الغرب.